بناء الدافعية عند التلميذ

رؤية تربوية وعملية

عبد الخالق نتيج
مربي، مؤلف

دليل عملي

مقدمة

من خلال تجربة ميدانية تتجاوز عشر سنوات داخل الفصول الدراسية المغربية، يلاحظ الأستاذ ـــ في لحظات صامتة لكنها دالّة ـــ أن بعض المتعلمين، وأحيانًا مجموعات كاملة، ينسحبون تدريجيًا من المشاركة والتفاعل الصفي. انسحاب لا يرتبط دائمًا بعدم الفهم أو ضعف القدرة العقلية، بل يحدث رغم الذكاء والانتباه والقدرة على التحليل والنقد. يجلس المتعلم في آخر الصف، يقلّ تفاعله، ويبدو وكأنه أطفأ الضوء من تلقاء نفسه.

في مثل هذه الوضعيات، لا تنفع كثافة الشرح، ولا إتقان المحتوى، ولا تكرار التعليمات. لأن ما تضرر ليس الفهم، بل **الدافع المعرفي**؛ ذلك المحرّك الداخلي الذي يجعل التعلم فعلًا حيًا، ورغبة ذاتية، وليس مجرد امتثال خارجي. هنا ندخل إلى منطقة خفية من الفعل التربوي، منطقة لا تظهر في الجذاذات ولا في دفاتر النصوص، لكنها تحسم مصير التعلم :**منطقة الدافعية**.

إشكالية الدافع المعرفي لدى التلميذ المغربي اليوم ليست إشكالية ذكاء أو قدرة، بقدر ما هي إشكالية معنى وشعور. كثير من المتعلمين لا يسألون صراحة: **"لماذا أتعلم؟"**، لكن سلوكهم الصفي يجيب عن السؤال. حين يغيب الإحساس بالقدرة، أو تُسلب مساحة الاختيار، أو يضعف الشعور بالانتماء داخل القسم، يتحول التعلم إلى عبء، وتتحول المدرسة إلى فضاء أداء شكلي، لا فضاء نمو معرفي.

لقد تعوّد النظام التعليمي، في كثير من ممارساته، على التركيز على النتائج، والنقط، والمقررات، أكثر من تركيزه على تجربة المتعلم الداخلية. فصار النجاح أحيانًا غاية في حد ذاته، لا ثمرة لمسار تعلّمي ذي معنى. وفي هذا السياق، ينهار دافع متعلم ذكي ليس لأنه لا يستطيع، بل لأنه لم يعد يشعر بأن التعلم يخصه، أو يعبر عنه، أو يعترف به.

من هنا، يأتي هذا الدليل انطلاقًا من قناعة أساسية :**الدافعية لا تُفرض، بل تُبنى** . وهي لا تُبنى عبر الأوامر أو التحفيز الخطابي، بل عبر ممارسات يومية دقيقة، قد تبدو بسيطة، لكنها عميقة الأثر. ممارسات تلامس حاجات نفسية أساسية للمتعلم، وتعيد للتعلم معناه الإنساني.

هذا الدليل لا يقترح وصفات جاهزة، ولا يدّعي تقديم حلول سحرية، بل يسعى إلى مرافقة المعلم المغربي في قراءة ما هو غير مرئي في مهنته، وفهم كيف يمكنه ـ دون أن يشعر ــ أن يغذي الدافع المعرفي لدى تلاميذه، أو يخنقه. وهو بذلك يضع الدافعية في قلب الممارسة الصفية، باعتبارها شرطًا سابقًا لكل تعلم حقيقي ومستدام.

حرصتُ في إعداد هذا الدليل على أن يجمع بين التأصيل النظري والعمق التطبيقي، مع السعي إلى ملامسة القناعات العميقة التي تحكم سلوك المعلم وممارساته داخل حجرة القسم ـ فالأستاذ هو فاعلها الأول، وصاحب الأثر الأكبر فيها، ومسؤول عن مناخها التعليمي والإنساني-.

وقد كُتب هذا العمل بقلب مفتوح، وبنَفَس المربّي الممارس، لا من موقع التنظير المجرد، بل من داخل التجربة الصفّية اليومية، حيث تُصنع الدافعية أو تُهدر دون أن نشعر.

الدليل مقسم لأربع أبواب كالتالي:

الباب1: المستويات الخمس للدافعية

الباب2: بناء الدافعية عبر العوامل النفسية الثلاثة

الباب3: دور المعلم في كل مستوى

الباب4: بطاقات تطبيقية لبناء الدافعية حسب المستويات

عبد الخالق نتيج

2026/01/02

برشيد، المغرب

الباب1: المستويات الخمس للدافعية

1.ماذا نقصد بالدافعية؟

الدافعية هي السبب الذي يجعل التلميذ يتعلم، يشارك، يحاول، ويستمر.

ليست كل الدوافع متساوية:

بعضها ضعيف ومؤقت؛

وبعضها قوي ودائم؛

هدف المعلم هو نقل التلميذ تدريجيًا من اللادافع إلى الدافع الداخلي.

2.سلم الدوافع

سُلّم يبدأ من لا دافع إطلاقًا وينتهي بـ دافع نابع من الداخل (حبّ ورغبة ذاتية)

كلما اتجهنا الى الدافع الداخلي كلما كان الشـــخص أكثر وعيًا، أكثر حرية، وأكثر تحكمًا في سلوكه.

أولًا: انعدام الدافعية(Amotivation)

ماذا تعني؟ الشخص لا يرى فائدة مما يفعله، ولا سببًا يجعله يتحرك.

مثال تربوي: طفل يقول:

"ما بغيتش نقرى... ما فاهمش علاش كنقرا أصلاً"

- لا مكافأة تحفزه
- ولا هدف داخلي
- ولا معنى لما يفعل

هنا التعلم شبه مستحيل.

ثانيًا: الدافعية الخارجية(Extrinsic Motivation)

الدافع يأتي من الخارج (شخص، مكافأة، خوف...)

1. التنظيم الخارجي(External Regulation)

أضعف أنواع الدافعية

مثال: يقرأ الطفل لأنه:

سيأخذ هدية

أو لأنه يخاف من العقاب

يتوقف السلوك بمجرد اختفاء المكافأة أو العقاب.

2. التنظيم الداخلي القسري(Introjected Regulation)

الدافع هنا ضغط داخلي لكنه ليس وعيًا حقيقيًا.

مثال: يذاكر لأنه:

"خاصني نكون أحسن من غيري"

"عيب نكون ضعيف"

يتحرك بدافع الذنب أو الخوف من نظرة الآخرين.

3. التنظيم المُعرَّف(Identified Regulation)

هنا يبدأ الوعي

مثال: الطفل يقول:

"كنقرا حيث باغي ننجح فحياتي"

هو لا يحب الدراسة دائمًا، لكن يعرف قيمتها.

هذا مستوى جيد جدًا تربويًا.

4. التنظيم المندمج(Integrated Regulation)

قريب جدًا من الدافعية الذاتية

مثال: الطفل يرى أن:

التعلم جزء من شخصيته

النجاح يعبر عن قيمه

السلوك أصبح منسجمًا مع هويته.

ثالثًا: الدافعية الداخلية(Intrinsic Motivation)

ماذا تعني؟ يفعل الشيء لأنه:

يحبه

يستمتع به

يشعر بالمتعة أثناء القيام به

مثال: طفل يقرأ لأنه:

"كنحس بالمتعة ملي كنكتاشف حاجة جديدة"

هذا هو التعلم الحقيقي والعميق.

الباب2: بناء الدافعية عبر العوامل النفسية الثلاثة

بحسب نظرية التحديد الذاتي (Self-Determination Theory) لعالما النفس Edward L. Deci وRichard M. Ryan ، تنمو الدافعية الداخلية حين يتم تلبية ثلاث حاجات نفسية أساسية. المعلم لا يطبقها كمنهج، بل يعيشها يوميًا في الممارسة.

وجوهر هذه النظرية أن الدافعية لا تفرض من الخارج، بل تنمو من الداخل حين تتم تلبية ثلاث حاجات نفسية أساسية. والمدرس، دون أن يعلن ذلك، يشتغل يوميا على هذه الحاجات، إما بتغذيتها وتنشيطها، أو بخنقها دون قصد.

1. الشعور بالكفاءة(Sentiment de compétence)

ماذا يعني؟

إحساس المتعلم بأنه قادر وذو كفاءة.

كيفية البناء عمليًا:

- اختيار تمارين مناسبة: ليست سهلة جدًا ولا صعبة جدًا.
- استخدام عبارات تشجيعية دقيقة: «أنت اقتربت»، «تابع الفكرة في طريقها»، «دقق أكثر فأنت على وشك».
- الاحتفاء بالمحاولات وليس بالنتائج فقط.

نتيجة:

زيادة الثقة بالنفس وتقليل الانسحاب الداخلي.

2. الاستقلالية(Autonomie)

ماذا يعني؟

شعور المتعلم بأن لديه هامش من القرار والاختيار والمبادرة.

كيفية البناء عمليًا:

- السماح بتعدد الإجابات أو طرق الحل.
- تشجيع الأسئلة خارج النص أو خارج التمرين.
- إشراك التلميذ في اتخاذ قرارات بسيطة داخل الفصل.

نتيجة:

شعور المتعلم بأن التعلم يخصه وليس مفروضًا عليه، مما يزيد الدافعية الذاتية.

3. الانتماء(Sentiment d'appartenance)

ماذا يعني؟

شعور المتعلم بأنه مرئي ومسموع ومعترف به داخل الجماعة.

كيفية البناء عمليًا:

- توزيع الانتباه بالتساوي بين جميع المتعلمين.
- استخدام نبرة صوت تشعر بالاحترام والتقدير.
- خلق بيئة شاملة، تتجنب الإقصاء الرمزي أو التهميش.

نتيجة:

استمرارية التفاعل والمشاركة، حتى عند مواجهة صعوبات الدرس.

الباب3: دور المعلم في كل مستوى

أولًا: التعامل مع التلميذ عديم الدافعية(Amotivation)

- شرح الهدف من الدرس بلغة بسيطة
- تقسيم المهام إلى خطوات صغيرة
- تعزيز أي محاولة إيجابية
- تجنب السخرية والتوبيخ والمقارنة

ثانيًا: استعمال المكافأة والعقاب بذكاء

- مكافآت رمزية ومؤقتة
- ربط المكافأة بالسلوك لا بالشخص
- لا تجعل التعلم صفقة

ثالثًا: التخلص من التربية بالذنب والخوف

- تجنب العبارات التي تُشعر بالعار أو الذنب
- استخدم عبارات تشجيعية ومحفزة للثقة بالنفس

رابعًا: بناء معنى التعلم

- ربط الدروس بالحياة اليومية
- طرح أسئلة «لماذا» قبل «كيف» للتعليم
- إشراك المتعلم في الشرح

خامسًا: جعل التعلم جزءًا من شخصية التلميذ

- الإصغاء والاحترام والتشجيع
- التركيز على القيم مثل الاجتهاد والصبر والمحاولة
- كون قدوة في حب التعلم

سادسًا: بناء الدافعية الداخلية

- التعلم باللعب والمشاريع والأسئلة المفتوحة والتجريب
- السماح بالخطأ وتشجيع الفضول
- التركيز على الفهم وليس السرعة

ممارسات صفّية يومية

- افتتح الدرس بسؤال لا بجواب
- اختمه بتأمل أو فكرة
- امدح الجهد أكثر من النقطة
- اسمح بالخطأ

الباب3: بطاقات تطبيقية لبناء الدافعية حسب المستويات

البطاقة 1: التعليم الأولي (4–5 سنوات)

الهدف التربوي:

زرع **حب التعلم** والشعور بالأمان داخل القسم.

خصائص الطفل:

- يتعلم باللعب
- سريع التأثر بنبرة الصوت
- يبحث عن القبول

كيف أبني الدافعية؟

- اللعب أساس كل تعلم
- الحركات، الأغاني، القصص
- التشجيع الفوري والبسيط

عبارات محفزة

«برافو عليك»

«حاول مرة أخرى»

«أنا فخور بك»

تجنب:

- الصراخ
- المقارنة

- العقاب

قاعدة ذهبية:

الطفل إذا أحبك... أحب التعلم.

<u>البطاقة 2: السنة الأولى والثانية ابتدائي</u>

الهدف التربوي

الانتقال من **اللعب فقط** إلى **حب المحاولة**.

كيف أبني الدافعية؟

أنجّح التلميذ بسرعة (مهام سهلة أولًا)

أشرح الهدف بلغة بسيطة

أحتفل بالمحاولة لا بالنتيجة

عبارات محفزة

«محاولة موفقة»

«أحسنت الاجتهاد»

«سننجح معًا»

تجنب

- «خطأ» بدون شرح
- الإحراج أمام الزملاء

قاعدة ذهبية:

النجاح المبكر يصنع الرغبة في الاستمرار.

البطاقة 3: السنة الثالثة والرابعة ابتدائي

الهدف التربوي

بناء **معنى التعلم** وليس فقط الأداء.

كيف أبني الدافعية؟

أربط الدرس بالحياة اليومية

أطرح أسئلة (لماذا؟)

أشرك المتعلم في الشرح

عبارات محفزة

«أعجبني تفكيرك»

«فكرة ذكية»

«اشرح لنا كيف فكرت»

تجنب

- التلقين المستمر
- احتكار الكلام

قاعدة ذهبية:

عندما يفهم الطفل لماذا يتعلم، يتعلم أفضل.

البطاقة 4: السنة الخامسة والسادسة ابتدائي

الهدف التربوي

بناء **الاستقلالية والمسؤولية**.

كيف أبني الدافعية؟

أعطي اختيارات (موضوع – طريقة)

أشجع العمل الجماعي

أركز على التخطيط لا الحفظ

عبارات محفزة

«قرار موفق»

«أنت تتحسن»

«ما خطتك؟»

تجنب

- السيطرة الكاملة
- الاستهانة بالآراء

قاعدة ذهبية:

المسؤولية تولّد الدافعية.

<u>البطاقة 5: بطاقة عامة لكل المستويات</u>

ممارسات يومية تبني الدافعية

✓افتتح الدرس بسؤال

✓اختمه بتأمل أو فكرة

✓امدح الجهد أكثر من النقطة

✓اسمح بالخطأ

أخطر 5 مدمّرات للدافعية

1. السخرية
2. المقارنة

3. الصراخ
4. التهديد
5. التلقين الجاف

قاعدة ذهبية شاملة:

المعلم الذي يُشعر تلاميذه بالأمان، يفتح عقولهم دون أن يدري.

خاتمة:

حين نقرأ الفصل الدراسي على ضوء هذه التصورات التربوية، ندرك أن التدريس ليس توجيهًا خارجيًا، ولا دفعًا من الخلف، ولا مجرد ضبط للسلوك أو نقل للمحتوى، بل هو مرافقة من الداخل ومواكبة إنسانية عميقة. فالمدرس لا "يصنع" الدافعية كما تُصنع النتائج، ولا يزرعها بالأوامر أو بالتحفيز العابر، بل يهيّئ شروط نموّها بهدوء وصبر ووعي.

إن بناء الدافعية ليس حدثًا صاخبًا ولا ممارسة استعراضية، بل فعل تربوي دقيق، يتجلى في تفاصيل صغيرة: في نبرة صوت، في نظرة تقدير، في تمرين مناسب، في فسحة اختيار، وفي شعور المتعلم بأنه مرئي ومعتبر. وحين تنضج هذه الشروط، لا يظهر أثرها في الضجيج أو في الانضباط الشكلي، بل في شيء أبسط وأعمق :في متعلم يريد أن يتعلم.

متعلم يشعر أن التعلم ليس عبئًا مفروضًا، بل مهمة تخصه، وأن المعرفة ليست غاية خارجية، بل امتداد لذاته ونموه الطبيعي. هناك، فقط، يمكن القول إن المدرسة أدّت رسالتها، وإن المعلم مارس مهنته في أعمق معانيها: مرافقة العقول والقلوب معًا، وصناعة شروط التعلم الذي يدوم.